أنـا ، ، ،

عبد الرحمن أيوب

وقف « أنا » على مشرف الصحراء الممتدة امتدا تشعاع النور في البلور . الصحراء صامتة كصمت الفراغ في الفارورة (العديمة) اللون ...

وتقدمت يد أنا مترامية مترامية تنتهي نحو الحد البعيد للصحراء ...

ماج السراب على اليد متهدلا ، مانتصبت نقط الاستفهام « ؟؟ ... ؟؟ ... ؟ »

اقتلع أنا عينه الباقية ووضعها في كفه المنبسط . نظر أنا نظرا فارغا فيها ... ـ يا لضحكة الزمان المتمرد .

فاين العين ؟ ... لم يشاهدها

كيف اقتلع أنا ... غادره كفه منذ خرافة الطوفان .. فان .

ترددت على مسامع أنا أصوات الصمت المتموجة : بات الصمت في ايامه حديثا متواصلا :

هذه الصحراء بدون شمس ...

هذه الصحراء فارقها البدر منذ أمد بعيد : منذ أن غاب نـوح في هذا الوجـــود ...

هـذا الخلـود ... هـذا ...

ايتها الشمس ، أيتها البدر ... متى الميعاد ؟

تموجت رجلانا على هيكل « أفريكا » العذراء ... شاهقة شاهقة ... شاهقة . وكانت الهاوية سحيقة .. سحيقة ... سحيقة .

حملت أنـا الاعصارات

انا مروحة عجولة عجوورلة ... عجوورولة ـ وقع أنا على الاديم ؟

لم يتهشم !

آه قول حكيم هامت (على قدميها) في عباب الصحراء ، تنتقي واحـة نخيل ... لطخة ظل ... منقذ الظمآن ؟ لكنها .. اصطدمت بـ « أفريكا » !!! ؟؟

لا تحتضن الصحراء ماء في ضميرها .

كان « أنـــا » حتنئذ منتصبا هناك . هيكله سحق « أفريقية ... »

غاب نظرها في نظره غياب الوجود في معناه ... وخرت راكعة وكأنها فهمت ...

حمقاء هي ـ أنت ـ هن ـ ابنة حـواء منذ أن مات آدم ...

على أن أنـــا أخذ مقعده بين القاعـد الخشبية ، اختـاره غائصـا في الرمال ... في مهب تيارات النسيم الحر ...

تبرز تلك القلادة : أول هدية من صاحبة الشعـر الاشقـر ... ما أحبها قط في حياتـــه ! (أهكذا يتفكه المراهقون ؟) : على صدره في وسط الغابة لماعة تبرق كسدادة قارورة الكوكاكولا في أشرطة الدعاية ...

آه ! كنت هرقلا في سنواتي الغابرة (النعجة ولية العلوش) . سخطا لك يا ابنة حواء يا فاجرة ... وتوقف القطار ! ...

س () ن . قول يقين . سوف أغادر جسدي لاسبح في غابة الاحزان ... سوف يطفو « منطقي » فوق مستوى « العقل » ليخاطب الاوهام ... أما « رجلي » فلن تبق غائصة في أعماق وحل الندم ... سوف اقتلعها وتخطو خطوة في عالم العبث الذكي ...

في الصحراء عاش أنـــا أول تجربة للحرية اصطدمت « بافريقية » !

في الصحراء بات الصمت كثيبا كوجه سمكة « ماو » في الماء ...

« ان تماثل الفكر البشري يخلق امكانية ايجاد نظرية توحيدية للتاريخ » فاستجابت لهذا ضحكة مفرقعة ! ... جح ج

أرائك وثيرة في الزيتونة (I) تزن الاطنان وترفعها ، وغير بعيد بقية عصيات آية الخلق البديع تعاني التناسق ... وقيل ان جهنم هذه أبدع من غيرها ...

في الاسقاع ، ضحكة أنـــا لم تعد تستطيع ... التوقف !

« عود ثقاب في القارورة » !!! ..... القارورة ... رورورورورورة

آه ! الحرية فضاء سحيق ... البراكين الهائجة والـزلازل بضاعتـه الرائجة (حكمة) .

غزيرة هي مروج الذهب في هذه الاصقاع ... وغير بعيد عن « قرطاج » موطن الحضارة مقبرة « بونيقية ـ امريكية ؟ ! » تنشد لحن السلام الهائج أما الخمرة الحالمة ففيها اشواك للعظام النخرة .. وتفاح يفوح ويعيد الروح للبطون المتفخة !!! ... البطنة ؟

في هذه الصحراء كل شيء مبيد .

(I) نزل بمدينة صفاقس (؟)

هذا الكون واسم الخلق (!) عجيب وغريب : فخلف القنطرة حقق التاريخ (الاشتراكية ؟) صروحا يمكن حصرها ، وبجانبها أعمدة الخشب في هيكلها المتشابك الجميل تنشد المستحيل . قطيع الخرفان يأكل بقية أعشاب المقبرة في موسم انقطاع اللحوم ...

قال : ماله لا يبالي بوجودي ؟ سوف ...

في الصحن قطيع من العاهرات . أما الالغاز فكثيرة والدوامات فتبذر ... وفي دار أنـــا بقية أطلال امرأة شاحبة تزن الاطنان من ... الهموم ... ورانت على أذنه وقالت في دعارة و « عفاف » : نقد أتى « الكوميسار » وأنا اولى من ضاجعته عندما حل أول أمس في هذه الربوع !

وقال صاحب أنـــا : ماذا يفيد هذا ؟

ـ صحرائي واسعة والكلمة متاهة ... والجماجم في القوارير .

أنشدت الحمامة انشودة الخلود وبين الكثبان نعيق ... عبق ... عيييق ... موسيقـــققققى انة حيرى في المنبسط .. وعـــود وبنـــادق عنـــد الكثـــب... والسمكة ـ سمكة افريقية ـ في المـــاء . « ان الرغبـــة في التحطيـــم هي الرغبة الحقيقية في الخلق والابداع » باكونين في تصرف .

قالت له : يا بني عندما تعود لتعمل في مدينتنا أطبخ لك كثيرا من اللحم الطري . واطلقت العنان لتنهدة عميقة ... أعمق من جوفها ـ من حطامها ... اللحم الطري امن يأكل اللحم مرة أو مرتين في السنة ؟ اللعنة لمن يستحقها وهو أدرى بنفسه !

كان « أنـــا » هنالك ليس بالقريب ولا بالبعيد . موجود ولم يوجد قط . وكانت « هي » في منتهى الصحراء واقفة ... واااقفة ... واقفة : لونها لون الرمال (مشهد بانورميكي !)

التفاتة واحدة .. حامت يد أنا كالحريق على نهديها ، في محلبتيها وبقية باقية من رأسيهما غابت في غياهب اللذة ، اربـــا اربـــا ... أصبحـــت الثياب . وازدادت الكرة الحريرية احمـــرارا .. وصـــوت النفس ارتفـــع ... انفجرت من أنـــا عصارة أساس الكيـــان البشري : دافئة : أعادت أنـــا الى السحيق العميق ، الى غابة الفناء ... الخلود ... الى الصحراء ...

ـ فلترفعي رأسك في ذلة أيتها الحواء الفاجرة ...

دوت كأنها المصداح في العدم « ضحكة » أنـــا القناطة المبهمة وقد امتزجت بحديث تفهمه حتى الثعابين :

« حمقاء هي ابنة حواء منذ أن مات آدم » .

وتساءل أنـــا عن صمتها الفارغ . وقيل أن آدم شاء أن يفقد « ضلعة » من ضلوع شره : فكان الامر كما شاء ، آمين ! ...

بقية من بقية فقرات الانسان ، فقرة الرقبة ، عششت فيها بقية من بقايا سجائر وسيجارة كاملة نفثتها أنفاس تاقت الى السراب ، تاقت الى الصحراء ...

وغاب في غياهب السجون وكانت « أفريكا » تحاضن الوقحة تطل من الكوة الهزيلة ... من ... افريقية ..

وجذبة واحدة جذبة الكاميرا : في لقطة واحدة أروع من الطحلب بانت عورتها يكبلها خصب الجنس . وابتعدت الصورة شيئا فشيئا (يا لها من آلية فرضت علينا هذا الاسلوب) فكانت ابنة آدم الفاجرة (نسيت نفسي ؟) ترقص كالافعى على بقية أنفاس مزمار يبعثه صمت .. الصحراء

قال المؤلف : حدثتكم عن صحرائي ولم أكن واعيا تمام الوعي لما أقول . وهل كنت مدركا أيضا له كامل الادراك ؟ فنسيت بقية كسرة الخبز الجافية على مقربة ـ مقبرة ـ منى القتها يابسة ، أيبس من اضراس التمساح ، سنة الرحمان .

تونس 31 . 5 . 1972

عبد الرحمان أيوب